

أنا « سلطان » قانون الوجود

لا أعتقد أن أحدا — خارج أسرة مدرب الأسود محمد الحلو —
قد حزن لمصرعه مثلما حزنت .
ذلك أن القدر ليلتها ساقنى لأدخل السيرك ، وكانت ليلة
الافتتاح ، ولا أعرف لماذا ؟ ولكنى بعد رؤيتى لعبة الأسود تنبأت أن
حادثا جللا لابد سيقع وأن قاهر الأسود محمد الحلو سيصرع على يد
أو (ناب) أحد أسوده . بل بحث بالمخاطر الحزين لمن كانوا معى ،
ووافقنى بعضهم ، بينما لم يكثرث الآخر وكأن الأمر لا يعنيه .
وحين تنبأت بما تنبأت به لم أكن ساعتها أستعمل حاسنى
السادسة ولا كنت صوفيا قد أصيب فجأة بحالة وصل مع الذات
العليا واتصال ، ولا أعتقد كذلك أنى ولى من أولياء الله .
بل حتى لم أكن أعانى من نوبة غربة تدفعنا أحيانا لتجريد الأشياء
من دفتها المكون وإفراغها من التفاؤل .

بصراحة ، لم أكن ساعته متأثراً بأي شيء خارج القمع الضوئي
المتهريء المكفى علينا ، يقطعنا من العالم ، ويقطع العالم عنا .
و حينها لا يحدث الشيء صدفة ، بل تكون أنت — أنت الإنسان
العادي مثلي — على يقين أنه سيحدث .
و حين لا يحدث نتيجة خطأ أو إهمال .
حين يحدث وكأنه لابد أن يحدث .

حينذاك من الممكن أن نقف عنده ، لأن الأمر لابد هام وعظيم ،
ويصبح واجبا علينا أن نعود ، كلنا هذه المرة ، إلى ذلك القمع
الضوئي المقلوب نعيش الظاهرة التي دارت أحداثها المروعة هناك ،
فمن يدري ، ربما بعد أن نحياها نجلس ، لأول مرة منذ من طويل على
ما أعتقد نفكر ، ليس في محمد الخلو وإنما في ألفسنا ، من يدري ، ربما
نحدث المعجزة وحسنا أي كنت هناك ، وأني شاهد عيان .

نصف الألعاب مضت ، كاللب ، نقرقره قطعاً لليلة أولى من
ليالي رمضان .
أثناء الاستراحة كان العمال قد أقاموا حلبة ترويض الأسود .
في هالة من فرقة الأسواط والجشير الذي تضخمه الميكروفونات

(ليرعب أكثر !) والصراخ والهدير وأصوات الغابة ، دخلت
الأسود . عبرت ذلك النفق الحديدى القائم بين محسها فى الكواليس
وبين الحلبة ، ذلك القفص الحديدى صدى وقديم . هذا صحيح ،
ولكنه حديدى أصلى وزيادة فى الاحتياط مربوط بحبل قديم إلى
العمود الرئيسى لخيمة السيرك .

الأسود دخلت ، أسود ستة ، زيتية الصفار أو رمادية البنية أو بلا
أى لون له اسم ، متشابهة ، كثرتها تمنع عنها جلال التفسرد ،
وانكماشها يخلع عنها إحساس الملك أو حتى إحساس التوظف فى
قطاع عام .

ما لبثت الأسود جميعا بعد دخولها أن أخذت أماكنها على شكل
نصف دائرة مقعبة كئناثيل أسود قصر الليل ، مادة أقدامها الأمامية
فوق الحامل الخشبي الموضوع أمام كل منها . كل الأسود فعلت ذلك
ما عدا الأسد قبل الأخير ، ذلك الذى عرفنا فيما بعد أن اسمه
(جبار) فقد أقعى فوق منصته رافضا أن يمد أقدامه أمامه فوق
الحامل .

وتولى مذياع أنيق ، غريب الأناقة على المكان والناس والأجهزة
وبائعى اللب والكاروزة ، تقديم المدرب ، وبصوت مؤدب ،

لا مبالغة في طبقاته (وهذا أيضا غريب) قال : الآن تقدم .. بطل
الأسود .. وقاهر الملوك .. ملوك الغابة .. البطل محمد الحلوى .
انصبت أضواء الكاشف الوحيد على الرجل الضخم الواقف
بجوار القفص ، والذي يلتحف بعباءة لامعة براقعة ، هذا صحيح ،
ولكن يبدو وكأنما استعيرت من متحف ملابس الممثلين بالمرح
القومي .

وكانت مفاجأة ، فهذا الرجل قد رأيناه قبلا رئيسا لفريق
(الجصار) في لعبة سابقة ، يقود فريقا من أكثر من عشرة أشخاص
يتولون ، ويتولى معهم القفز العالي والدحرجة والقيام بما يشبه
المستحيلات ، وهو عمل يكفي وحده لأن يقوم به إنسان واحد .
المهم ، فتح الباب الوحيد في القفص الحديدي الدائري ، ودخل
الحلوى ، بعظمة ذلك يلج قبرا للبيد ، وتولى العامل إغلاق الباب
وراءه بترباس متين .

لاحظ محمد الحلوى على الفور أن (جبار) لا يمد قدميه كما ينبغي ،
ومن فوره اتجه إليه وحاول أن يصحح الخطأ لتصبح نصف الدائرة
كاملة ، نصف دستة من ملوك الغابة الرابضة المقعبة الخائعة ، وهو
بينها ، ملك الخلية ، وملك الملوك ، وملك السيرك وملك الليلة .

تناول الحلو سيخا حديديا طويلا مديها من طرفه ، ولكن طرفه
ذاك معلقة به قطعة لحم صغيرة جدا (عرفنا فيما بعد أنها ليست لحم
عجول وإنما ، لغلو الأسعار ، فهي لحم حمير) . وانقض الحلو
بالخربة الملقمة بقطعة اللحم (وكأنها سيف المعز وذهبه) تجاه الأسد
أمرا إياه ، أن يمد قدميه . ولم يحدث سوى أن الأسد نام تمتهي الحزم
ورفض أن يستجيب . حاول الحلو مرة أخرى ، نفس النتيجة .
الحلو ، فوق بطولته ، رحل استعراض مدرب . إن مسألة التردد أو
الطاعة أشياء لا تهمة بالمرّة ، المهم أن يتجح العرض ، وألا يبدو هذا
التردد الواحد واضحا للعيان .

وهكذا نفّض بدا من مسألة جبار بسرعة وبصرخة هائلة ركزت
الأنظار عليه وعلى الأسود الخمسة دافعة أقدامها فوق الحامل الخشبي
وراكعة . وحينذاك فقط تول محمد الحلو تقديمها . فكان أولها من
ناحية اليمين (سلطان) الذي عرفنا الآن جميعا أنه هو المحرم الذي
نهش جانب الحلو وأدى لمصرعه ، وكان المتمرد اسمه جبار ،
والباقيون أسماء من هذا الطراز الحائر على صيغ كثيرة للمبالغة .
كان على الحلو بعد هذا أن يرفع الحوامل الخشبية من أمام الأسود
ليستعد لعرضها القادم .

وهنا فقط بدأت أنتبه .

كان يتقدم من الأسد ، ناظرا في عينيه ، أما إياه بهما على ما يبدو أن يمثل ، ثم بيديه ، ودون أن يغير من نظرتة ، يتولى قذف الحامل بعيدا عن منطقة الخطر ، وهكذا ..

وتمت المحاولات الأربع الأولى بنجاح . وعند جبار الذى كان حامله حاليا من أقدامه ، ما كاد الحلو يقترب حتى زار الأسد فجأة واقترب برأسه من المدرب هاما بالتقدم الأكثر .
وهنا تحت ارتدادة خوف سريعة من المدرب .

وبدأت أنتبه أكثر .

ليس توقعا لما هو قادم من ألعاب .
وإنما لما هو أهم ، لتلك النظرة الصادرة من عيني الأسد ، والنظرة المنصبة تجاهها من عين الحلو . أحسست أن اللعبة الحقيقية الخطرة هنا . وأن في الرضع ما يزعج ، على الأقل يزعجنى أنا .

الليلة الافتتاح هذا صحيح . وما زق الافتتاح معروفة ، كم جربها أولئك الذين قدر لهم أن يكون عملهم ، مهما كان جهدهم أو ابتكارهم أو كدهم الخاص ، مسألة تقديرها ليس في يد رئيس أو مجلس : إنما في يد جمهور ، يقرر اللب ، ويخرج الكولا ، ويمتشي

البساطة يصعد إلى السماء أو يخسف، أحيانا بأعظم الأعمال قيمة ،
إلى أسفل سافلين .

الليلة الافتتاح ، والجمهور كثير ، والأضواء هي الأضواء ،
والسيرك هو السيرك ، ولكنه زمان ، في أول إنشائه كان سيركا
متألقا ، صاحب الجمهور ، غنى الأضواء . كان فعلا ذلك المكان
الذى قصد بالسيرك أن يكونه . المكان الذى تدخله ليخلب ليلك ،
لعميشه تماما ، تنسى مهائيا أن فى الخارج حياة وأحياء ومشاكل .

وأىضا كان السيرك للاعبين حلبة صراع . أمام جمهوره الخافل
تفجر بطولاتهم . يخامرون حتى بالحياة وهم يتأكدون أن الموت فى
عمرة المجد والأضواء وإحساس النفس المصرية الممتد بالبقاء والخلد .
شيء بالمرّة ، لا يخيف .

ونحن الآن فى سيرك رمضان عام ٧٢ .

أنا شخصا لم أكن أريد الدخول ، لكن لأنه على الأقل أمتع بكثير
من مسرحيات الصيف التى تنفرد كل منها برائحة ننته خاصة ،
فليكن السيرك .

ولكن أى سيرك .

إنك أحيانا لا تحس بالشيخوخة والكبر إلا حين تقابل زميل

دراسة سابقا أو صديقا له نفس سنك ، وحين دخلت الخيمة لم يكن
في كل ما رأيته شيئا سخيفا أو عجوزا أو غير عادي . المشكلة أن كل
شيء كان طبيعيا وعاديا وكأنك داخل إلى ديوان حكومة أو تعبر
حديقة عامة ..

لم يدهمني ذلك الإحساس أنك انتقلت فجأة من عالم مطلق أو
قليل البطولة والنور إلى عالم مليء بالوهج ، بالخوارق ، بالمعجزات ،
عالم يهرك ويحفرك إلى الخوارق والبطولات .

فكأنني فعلا انتقلت من شارع مزدحم إلى ميدان صغير مزدحم
بالكراسي هذا صحيح ، كثير الجمهور هذا صحيح ، ولكن شيئا ما
حدث للكشافات فجعلها سلطة أساسا على الجمهور ، تغير الخلبة ،
ولكنها بإضاءتها للمشاهدين تجعل من تلك الوجود جزءا من
العرض .

وأى وجوه ..

نفس الوجوه ..

المتزاحمون الغارقون في العرق أمام الجمعيات الاستهلاكية ، في
عمرات الأتوبيس وعلى سلالته ، المتوقفون قراغا لمشاهدة حفاقة ،
الجامعون من (السلطة) على مائدة الإفطار مسألة حياة أو موت ،

تفتا في صنعها ، انتقاء لمكوناتها وجاهزاتها ومخللاتها .

وجوه ..

وجوه كثيرة تلمح بينها وجوه الأشقة العرب ، وتستمتع بمراى الكروش المصرية المتكومة باسم الله ما شاء الله تصنع لكل كرش رجلا ورأسا وملحقات . النساء وقد بدأت مودة الطويل تنتشر ، أقصد الطويل التخين ، فقد بدا واضحا جدا آثار مربة حرر البقر ، وإلا فهي آثار (العلف) أو شيء لا بد شبيه بالعلف .

وجوه ، ظلت طويلة والكشافات تنصب على معظمها تأملها ، تأمل ما يرسم على ملامحها من تعابير ، وعشا ما كنت أحاول ، فالأبخرة الدسمة المتصاعدة من معدات تجار بمحتويات الإفطار ، والعرق المتصيب من تلقاء نفسه من صدور وبطون بالكاد تلهث لتؤدي وظائفها ، بالكاد إذا نجشأت تنجشأ .

أنوار كاشفة مكشوفة مسلطة على وجوه لا تعكس الضوء ، بعضها بالدمسم يمتصه ، وبعضها لقلة التغذية يمتصه أيضا ، وحلبة متربة ، والحضور المسرحي لا وجود له ، فلا جماعة ، وإنما عائلات وأفراد لا يجمعهم ذلك الرابط العام الذى يخلق جو العرض ويحيطه ، حتى المهرج من فرط ما نحت دوره من خطوط تؤكد دوره

كمهرج ، لا يهرج . العمال الذين يقومون بالإعداد للألعاب يرتدون
(بدلاً) لا بد أن أصلها كان شيئاً آخر ، ربما لباس صعيدي ، ربما قلع
مركب ، ربما ممسحة بلاط . زرقاء كل بدل العمال زرقاء . ولكن
كل أزرق منها له لون ، وفيها زرار ، على الأقل تحت زرارين ، ومع
هذا فجميع بتطلوناتها بلا زرار وبلا أحزمة أو بأحزمة تصلب
الوسط فقط وترك البتطلون يأخذ الرضع الذي يعلو له ويفتح من
أمام بأي مطلق من الحرية يراه . المنضدة التي تقدم عليها لعبة الوقوف
فوق الزجاجات والتي لو كان بها أي خلل ممكن أن تؤدي بحياة
اللاعب ، لا تصلح أصلاً للارتكاز على أربع . وإنما لا بد لها من
سنادات ، ولا بد أن تتأمل حكمة الكون أو تفكر في اعتزال الدنيا
والت ترى منضدة المطبخ تلك ، التي لم تطل من عشر سنوات ،
وأربعة عمال بأربعة أقراص مدورة بأربعة بتطلونات مفتوحة بأربع
جاكثات (زعر) ، يدخلون ، ليؤنوا الأرجل الأربعة . ما فائدة أن
أتحدث عن اللعبة نفسها إذا كان هذا هو حال المنضدة ، وإذا كان
حال اللعبة التي تزامن اللاعب ومفروض أن تساعد أدهى ، ذلك
أنها سمينة إلى درجة مزعجة ترلدي جوربا من جوارب (الباليه) ،
جورب من سمك الجسد والأرجل والأرداف التي يحتويها ومن طول

، حتواها ، تفتى في أكثر من مكان (ربما هـ . ستموها ، أي ذلك
 اهدء اسمع ، المفتقة) . فأن لن أتحدث عن ابعثة أو حتى لو كان
 صروح قد أطفئت هذه كتلت من فوق مصدا كهداه المصدا ليصل
 إلى القمر ، حتى لو تمت هذه الأرياء والمصدا والحوارب حراحة تحمل
 السوداء ، إلى إسماع ، والمعجرة ، أي معجرة ، يكون قد انتهت من
 نصبت قبل أن تبدأ ، انتهت ، و انتهت معها لينه من لين ابعمر
 هسيرك قام ، ليحبب الحب ، بهر ، لينقلك إلى عام غريب حافل
 بالآلوان والصورات والجمال والمعجزات
 ولكن ابعبة الخطرة كانت قد بدأت .
 بعبة ترويض الأسود .

هي لحظة ..

ولكن بيده كهداه بكفيها لحظة تحبس فيها أنك حقيقة تفعل وأنت
 حقيقة في سرك .

ولكن ، حتى هذه اللحظة أفيدوا على ذلك السؤال المبع من
 ين حياء إلى ذلك الشعور أن شيئاً ما سيحدث ؟
 ملك على حارثي أحمس تأملط ، فإذا بها تنظر لي مستعراة

خفيهي ، هيى لأحرى كان لىي نفس اشهور .

امسأة دن بيست وهم ، هات فى احو شىء يخب

ليس وابدأ من كوك احر .

ولا متسرب إلى المصع المصوب من االخارج شىء ربع من حبة

د ه ، و حتى يس من شىء بعينه فى الحمة ، فى الحسنة ربع من كل

شىء تصمه خيمه ، من الحيوانات وانك شفت ، و لأشياء

، عشر ، من حارى ، ومى ، وميث أيت لو كيت هات

مضى احو يتحرث ، يخبي ، يقبل الأشياء د حل القمص ، نفس

الحركات هى تعود أن يفعلها من ر من طويل . لا حايه فمد يفعل ،

لا حديد فى النبة . لا عصبية سة الاقتح المؤقتة لمعهودة ، حتى

او حوه ، لو حوه كنها د حل عمص و حرحه طلير ها حتى لم بعد

ير ها

لصره لمبادنة بييه وبين الأسد ، سلطان كان و حى ، فقط

دك اشىء الحديد ، فى ديلة وفى حيانه

مر جل محبوس مع سة سود فى قصص ، وحيانه كنها وهو مع

الأسود فى قصص

و الأسد ، دلت كيه هو الأسد

تحصل أن أكون عليهم البطل ؟ أليكون الكفر المردوح قد حدث
كفرت أن سهم وكهروا هم لي وجميع كفرنا بوحود بعض البعض
والبطل مثل الانطال ، والميت كالحى ، والحى كالميت ، ورومى
كالخاصة والحرامى كالشريف ، لأمن كالعبد ، الأمن كاليأس
إن البطل لا يولد وحده .

البطل يخلق

ولا بد كى يوجد ويعيش أن يشرع فى حال إحساس عام بضرورة
السطوة ، بروعة الصورة ، بتفرد البطل
ولا يمكن فكرة السطوة أن تشرع فى جو عدم كهد وحده
سطوة قيمة ، ولا بد أن توجد وسط محصول وفهم عام
لا نجد لسطوة ، بلا نجد لمكرامة ، بلا نجد للبرج ، بلا نجد
مشرف بلا نجد معمار لصاح

وأيقنا لا توجد البصوة ، بلا جو عدم تمنع فيه البصولة نخت
كاحساس القدرة مه ، ونخت معها حشاش سامة أخرى كالخس
كالسامة كالمصدق كالكذب

ثم حين (يصحح) الجمع ، اتعهد وعتاش وروور ولأنه
إن يصحح لا فرق ، لا معنى ولا تسعد . لا زرع ولا

حين تمضي حياة متحر لا ير سب فيه أحد ، ولا يموت أحد ،
ولا بفصل أحد . حين يحدث هذا . ماذا يعني من إنسان ؟
وإذا كان هذا السؤا م بعد بهم أحد بأن يحب عبه ، أن
يصر حه . فإن هذا ألبا في حيانا لا يستطعون أن يفعلوا سؤا م ،
وهو فارص حسه عليهم فرص ولا فرك منه . هو لا يحمي تبت حسه
فما أنى حبا وحها بوحه مع الخطر .

وبالذات مع حصر من هذا النوع
فمحمد الخنو يواحه هذه لو حوش الصاريه ويجمع حطرها
تسكه من ردة البصر وقدرتهم وما فيهم من صورة أو هذه على
البطولة .

ليس من سوء إذا محمد الخنو أن يعرف ، في سب سحطت لبي
بمفق عبه هي . ويصبح و حده أمام الخطر ولا معي . أن يعرف هذا
بقي هه أوله .

ماذا بقي من البطل ؟



بمفق ساس بالأهاب في السيرك ، به معنى مختلف عن أي

تصفیق آخر ، بعض معنی ، سبباً عمیقاً حد ، ہاں اُنہاں نہ ت لا
 تصفیق محرمۃ و محارۃ ، بصدق تصفیق ، وانعسل ہدی یشرع عبت
 تصفیق ایس آئی عمل کما اقرب من فسرنت علی عیان بہ بہ
 ولقد اُھمیتہ کما استحباب عیدت بقیام بہ سہرٹ وارادت حدہ
 تصفیقت

یہاں کان لتصفیق فی دنی وقع غریب فہما بعت البعہ
 اُھما من مہرۃ ، و مہما حنوت من عمار و بطولۃ ، و لتصفیق
 حتی فی اُغنی موحاتہ کان دائماً یسود لائر و کأنہ صادر عن جمہور
 قد قرر ہدی دہ اُن لا یفیس فی شئ ، تمہاں قدرہ عہ و
 استحباب ، و کان آئی شئ ، پیدو مسحلاً تہا و حتی تمک تہا
 لا فرق ،

کان فی حقیقۃ نوع من تصفیق بحسن دہ تصفیق تصفیق
 اُن ، نو جب تدفعہ کتمی تذکرۃ ، کاصربۃ ، و اُمرٹ لہ
 و کانت مصححات الاعین عار ہواہ فی محاولات مستمینۃ من
 اُن موصوف ہاں مہا جمہور بعمیقۃ و سحبا لضعف ہاں مستوی
 ہا بقوموں بہ من اصول کی تسک بعد ہاں ثلالات حسن
 و بحسن و اسہار و کی جہ صت دُعا اُنہاں من مصحبات ،

وَأَبْعَد .

مَدَا کَال قَدْ بَقِيَ مِنْ نُصْلِ مُحَمَّدٍ الْخَبِيرِ ۝

دیکھتے ہی دیکھتے ہی ساحہ اسیرت ، حسا یہیب ، و پھر ح تہ
یہیب ، و ہوق حہ ، بکسب ، ثم حہما با بصولات حہ ، ثم بطل
حقی الأحلام ونا سعادہ القصوی یستع احمد حہ حہ و - ا
ضربا ، و هو قتل نفسہ کی جمعہ تحار اکثر و کثر لاف ، حوالہ
وقی دا حہ . لحیدہ حہہ لأمل عربص حہی الشوق حہہ
عہرہ ، وقی حہضت کثت ، لا تہجہ ہمرہ .

حیں تحا ک نکوب مروض و حوس ، أو لأعب تریر ، أو حیدر
احتار و حارب فصیح کت یا کل عیشا حہہ ہوسبہ ، و لکس نو
کال اکل العیش : حہہ حہ اهدف ہ حیرت یب حہ اہلا ،
و حہب ، مثلاً حہہ اکیسہ العیش ، و فی عمل آخر حہ من یہ
حظورہ کما فعل الملائی من ناس ککہ تہشر و الأزرہ

دیکھتے ہی حہ حہ لعل تسعد دیکھتے ہی لا و تشب ہفت
ولیس قدراتک .

فیہ ہ بعد مہم ہدائی اس اُن کت ہفت ہفت ، و لا حسی

لديت أنت نفسك .

فماذا يبقى لك ؟

أكل العيش ؟

أجل كل عيش كان هو الإنسان الذي يواجه الأسود وحده في

القفص المعلق .

حيمة كنها أكله عيش متفرجين و عمالا و بائعي كارورة و كس

يدي ورق لأوراق جعل لأحريين متفرجين .

كدهم يتفرجون .

ويصفقون ..

دبت التصفيق العائر ..

.. محجور جميعا في متحول الحياة

.. مقصور يدهم من كل شيء ، صيقور بأي شيء ، الرصوب

حتى عن سحق و لب حصون حتى على الرص ، الذي استعنت

مهم ماء الاندماج حتى عمق حتى أصبح مستحيلا أن يصدر

حجبه افعال و نصة حماس و لحظة عصب

أكل العيش وحده مع أكلة لحوم البشر

و القفص الحديدى معلق .

ومن بين أيامه عليه أن يترع لعمه عيشه

* * *

تنب حوى

لا تعبر يد كبر في المعالاة الوحوه .

لا أحد يعرف .

حتى هو نفسه ، محمد الخلو ، لا يعرف

ووحيد ، في الخيمة كلها الذي كان يعرف ، هو الأسد نفسه

لأسد مدث رعاية لأنه مدث الإحسان

حصره لأعظم أن يديه القدرة دئما أن يعرف ، وعلى وجه

اليقين ، إحساس من أمامه .

وإذا اشتد أنه حائف منه انقص عليه

ولعمه ليس هي إلا المخوف والخائف ، تبت هي لعلاقة

وحيدة ، ذلك هو القانون الأعظم

كل حائف من حيوان يخف بدوره حيوانا آخر

إلا الأسد ..

الجميع خافوه وهو لا خاف أحد

حيوانا أو حية .. حتى يعرف منه لأسد

هو الإنسان

أو بالاصطاح هو ديت الإنسان لیدی کی مسیح من دگاہ ویراده
وسلاح یسعیع ن یواحه لاسد وهو لا یتمل أنه حائف منه ویکس
حقیقة وصدق غیر حائف ، بل رکی شاعر أنه الأقوی

ولان کی تروص لاسد ن تروص یسعیع ن ولا یتمل تروص
المرحله سی تروحه هیه لاسد ن و عدة أسود و انت غیر حائف منها
لأسد و حده کدرت ن دیت لرحل ، لرحل لیدی یعرفه حید
و عود منه دائما ن یجد صاحب صراته العریرة ن یحقق عواقبه ولا
تنبه لمر نر ، لان لرحل یس فقط غیر حائف منه ویکس یا مره
و یهره و یحدث إرادة وثقة بنفسه قوی بکثیر من یدیه هو دیت ، ن عده
بأراد سده ال یحاف و یطیع .

ولابد بالإصطاح هه أن ذکر أن یسعیع ن حریف حیمه کان
یعرف دیت الشب لیدی ما تعرف حصة و حدة عن صفوف حوی
للقصر و ملاحظه نصرت لأسود انتی تلاحق لحو دیت الشب
لیدی عرفت هیم بعدته به و لیدی حیمه کان هو الآخر لمریرته
بعضی یعرف و یدرت ، فهو یعرف لأسود حیدا ، ربها مع أنه
صاحب ، و یعرف أبدا حید ، و یعرف لبد که هده نصرت

من عيون أبيه .
من عيون أبيه .

وحتى لا يلا هذا من حر كات لم تعبر الموقف

يا محمد اخو مدرست قديم ، باعه ضويل ، وجرى جرحه من ،
بمسألة ليست شجاعة ، بصورة فقط . إياي مسألة بالصيغة
والحكمة والهدوء

هذا هو جرح من الحرب كل ما تملك أصابعه لي لا بد صاحب
رغبة حبيبه لا تحط ، كل ما تملك أصابعه إخراج . بقية الأسد
تعب ، واحدهور يصفق ، وكل شيء يمسى وكأ لا حصر أنته
هناك . ولكن ارحل ليس نفس الرجل ، إنه هذه مرة حائف
هكذا راحت ندى حاسيس لأسد انحريرية وتؤكد في يده جرح
اليد ارحل وكه يرتعش . الصورة جرحه من عييه بسبب
واضحة واطاعة وحاسمه ، بها تردد ، إياي تحسب ، ربح جرح ٢٠٠
حرم ، أبدا ليست نفس صغيرة
تلك كانت اليلة الأولى .

اليلة التي أدرك فيها (حصار) هذه لإدراك

ويكن الذي قتل محمد اخو هو (مسقط)

وعضه في الذيلة التالية .

فحبار حديث المعرفة محمد الخلو .

لا تران العلاقة بينهما علاقة من يخاف من من .

وهذا كان هو أول من أدرك أن الآخر خائف .

أما (لسلطان) فأمره مختلف سلطان قصي عمره كنه يعرف

الخبو ويخاف منه ، ويطيعه ، ويسيرة لأولى ، مثلها مثل كل الديار

الأحريات ، مرت ، وسلطان يقوم ي تعود بقيم به من أعاب ،

بأمره الخلو ، فيطيع ، بكافته ، بلحم الخمر ، فيسعد ، الحيوان

الذي فيه كان عولا مستسما كالعادة بطبيعة الحديدية المتعدية

المروسة التي تكومت له . في الذيلة التالية فقط ، عرف سلطان

فجأة وسيرة الأولى ، يدب في عرائره العميقة دأبت لشعور مدى

م يحتاجه أبدا . الرحل . دأبت لرحل مدى يخاف منه . السيرة

خائف .

يقرب منه الخلو لأداء البعة .

يزأر .

يصبح لظفرة الرجل تشتت عريب م بعهد .

ولو كان لأسد يعرف لاسنكار لاستكر أن يحدث هذا .

فما حدث بالنسبة إليه شيء لا يصدق ، إذا كان الأسد يعرف ما يصدق وما لا يصدق .

للأسف هو لا يعرف إلا لغة واحدة يتعامل بها مع كل شيء ، والحيوانات والبشر من حوله ، ومع الرجل حتى دبت الرجل لغة لا تخفى إلا كلمة واحدة كلمة لا وجود لها إلا في حشايا نحن ولكن الكلمة التي إذا جاءت من الرجل ، أحس أنه غيّر وأصل وأضعف وأحسن وأن عليه أن يرضع . نفس الكلمة التي إذا في عين الرجل أحس أنه هو الأقوى والأعظم والمثلث وأن عليه أن يفتك .

لا . لم يكن يريد عصا اخذوا أو قلبه

ربما أراد أن يتأكد ..

ربما أراد أن يستقر الرجل ليفرأ في عينه نفس البصر . الكلمة التي تعود إذا رآها أن يركع ويخضع

أراد تماماً كما يفعل المدرّب حين يستقر الأسد برمحه ليرأر ليخفف
المرحّل حين يرى دوا تقديراً لبطوله . أراد أن يستقر محمد الخديو
باعتصامه أو محابه أو بأبيه ، ليسفّض له ، مرة أخرى ، دبت
الرجل لن تعود أن يحس أمامه

ولكنه ما كاد يستشير وينقض حتى سقط . حتى انهار تماماً وهو في
أقصى درجات الرعب ، حتى أطبق على الخيمة كلها رعب أكثر من
رعب الحلو نفسه .

وهكذا فجأة أدرك الحيوان الصيقل المستسلم لقيوده ومصره
وخوفه أنه كان مخدوعاً ، وأنه الأقوى والأعظم والمسيطر والمملك ،
واندفع ينهش لحم صاحبه المدرب ، ويعضه ، ويكسر قيوده
ويستعيد نفسه .

ونستغرب بعد هذا لماذا صام (سلطان) عن الطعام وقضى الأيام
التالية حزينا .

الحزن في رأيي كان سببه أنه أبدا لم يرد أن يحدث ما حدث .
إن الأسد حيوان ليس الغدر في طبيعه .
وكالكلب ، الوفاء عنده ، غريزة .
وهو لم يقصد أن يغدر أو يفترس أبدا صاحبه .
أراد فقط ، كل ما أراد ، أن يستمر على وضعه خائفا من ملكه
وصاحبه ومدربه وسيده . أراد ، كل ما أراد ، أن يجعله يشعره مرة
أخرى أنه الأقوى والأقدر .
كان متأكدا أنه سيقابل هجمته بهجمة أشد منها .

كان يعيث ، كما تعود أن يعيث ، حتى يناله العقاب ، كما تعود أن يناله ، ويسعد بعودته للخضوع والطاعة والذلة .
وحين سقط الرجل ، حين سقطت الهبة الضخمة وضاع الصولجان . حين لم يعد باقيا أمام سلطان إلا أن يحس بالشفقة على صاحبه فيطربط عليه ويأخذه بيده وخاطره ، لم يستطع للأسف أن يفعل . فالأسد، كالحیوانات ، وكالغابة في أساسها ، لا يحس بالشفقة على أحد . ولو كانت الشفقة قانونا من قوانين الوجود لماجت الحياة وازدحمت بأشكال وأنماط ركيكة عاجزة لا تصلح للحياة وإن كانت تصلح للشفقة . الأسد إذا لم يخف ، خوفا ، إذا لم يخف أن يؤكل خوفا بأن يأكل . وإذا لم يجد التخويف ، أكل فعلا ، وربما هذه هي طريقته في إظهار الشفقة . أن يأكل من لا يعتمد في بقائه حيا إلا على إحساس الآخرين بالرتاء والشفقة ...

إلى المستشفى حملوا محمد الحلو .. لموت طبا وعلاجا .
وإلى حديقة الحيوان أخذوا (سلطان) لموت كمدا واكتئابا .
وكم ألمني ما حدث للحلو .
وكم آلم الناس الناس الطيبين ، من رأوا الفاجعة ومن لم يروها ..

ولكن لأننا جميعا مسئولون بالإجابة على السؤال : لماذا يحدث
للحلو ما يحدث للحلو ؟

ولماذا ينهش الحيوان المتوحش صاحبه الذى دربه وأطعمه ورباه ؟
ولأننا جميعا لو استحلنا إلى أكله عيش فسيكون مصيرنا أن تنهشنا
أكلة اللحوم . والإنسان أثبت أنه على رأس أكلة لحوم البشر .
لأن الأمر كذلك .

فإني أترك المشكلة لكم لتفكروا فيها .

ففى هذه اللحظة أنا قابع مع سلطان فى حيبه الانفرادى ،
قاتلا ، ومجرما ، ومنبوذا ، ومحل سخط الجميع وازدراؤهم ، قابع
معه أتساءل ، كما لا بد لذى العقل منا لو كان حيوانا ، أو للحيوان منا
لو كان ذا عقل أن يتساءل : ما هى جرميتى أيها السادة ؟
إنى عقرت الرجل وأرديته ..

ما ذنبى وأنا لم أفعل إلا ألى قمت بدورى كوحش عليه أن ينهش
إذا خاف مدربه ، وأن يلعب إذا أخافه المدرب .
أم كنتم تريدوننى أن آخذها أنا الآخر هزلا ، ويصبح الوحش
الذى فى نكتة ، كما أصبح أى شيء نكتة .
إنى آسف أيها السادة ، الأسف لما حدث لسيدى السابق ، شديد

الإعجاب بابنه الذى يعتلى الآن ظهور الأسود ويخيفها ، آسف أيها
السادة فقانون الغاية ليس قانونها فقط ، إنه قانون الحياة والأحياء ،
ذلك الذى لم تستطع حتى أديان السماء كلها أن تلغيه .

إما أن تخاف وتركع أو تخيف وتقتل . فى القفص وسارج
القفص ، فأنت مقتول إن ضعفت أو خفت ، أو قاتل ، وأنت
المستول عما تختار .

آسف أيها العبادة فأنتم وحدكم الذين تسخرون من هذا القانون
وتضحكون. فإذا كان العالم يحياه حقيقة وقانونا وتحيونه أنتم سحرية
ونكثا فالذنب ليس ذنب (سلطان) .

ليس ذنبى .

وليس ذنب صاحبي محمد الحلو .

صاحبي الذى خضعت له بطلا .

و حين أصبح أكل عيش مثلكم أرديته .

فأنا لست سلطان الأسود .

أنا سلطان قانون الغاية . وقانون الحضارة وقانون الإنسان

وقانون كل الوجود .